

في اليوم العالمي للحريات الصحافية الى حبيب يونس

باريس _ من بيار عطا الله - النهار

مجدداً يحتفل الصحفيون في كل أنحاء العالم باليوم العالمي للحريات الصحافية، ورغم التصريحات المعلنة لكل الدول المهمة بصورتها على الصعيد الدولي وخصوصا في الشرق الاوسط عن احترام حق التعبير عن الرأي وحرية الاعلام، الا ان حرية الصحافة لا تزال غير محترمة في أكثر دول الشرق الاوسط وشمال أفريقيا وخصوصا الدول العربية، لا بل هي في تزد مستمر وآخر النماذج سكرتير تحرير جريدة "الحياة" الزميل الشاعر حبيب يونس الذي يعتقل ظلما ثمنا لمواقفه الوطنية ودفاعه عن سيادة لبنان واستقلاله، لا لأي شيء اخر مهما تعددت الاسباب. أكتب عن الزميل السجين يونس من دون ان انسى الصحافي انطوان باسيل والصحافيين اللبنانيين المنفيين قسرا او طوعا والموزعين بين فرنسا وبريطانيا ودول الخليج العربي الذين دفعوا ثمن مواقفهم قهرا وتشردا واهانات. ستصدر مطولات أنشائية وبلاغية عن حرية الصحافة " المقدسة" في لبنان بلسان من يذكرون الصحافيين كل يوم بوجود التزام الرقابة الذاتية، ومن يسكتون عن قمع الصحافيين اللبنانيين وتعذيبهم في السجون على "البلاكوه" او وضعهم في الانفرادي او نفيهم قسرا وترك عائلاتهم تتضور، ولائحة الشهود والاثباتات طويلة.

تصر كل المنظمات المهمة بحقوق الانسان والحريات الصحافية على اعلان، "صحافيين احرار في لبنان، لا صحافة حرة". قد تحول لبنان بفضل ايدولوجيا الرأي الواحد "الستالينية" القابضة على البلاد والعباد والتي ترى في من يخالفها الرأي عميلا للاستعمار والصهيونية، نموذجا للاعتداءات الاكثر خطورة على حرية الصحافة، وأخطرها في تصنيف الانتهاكات فرض الرقابة الذاتية وتطويع الصحافيين بالترهيب والترغيب الى آخر ما تفتقت عنه عبقرية قمع الصحافة واسكاتنا في لبنان. هذا "اللبنان" الذي يريدون تلقينا اياه قسرا ليس له ان يفخر بأي من وسائل الاعلام "المسوكة"، بل له ان يفخر بالصحافة الشجاعة التي تشهد للحقيقة وترفع صوت الحقيقة مهما تكن صعبة وتصارع الناس بما يدور من حولهم وعليهم وعنهم تماما كما حبيب يونس. ان النوع لا الكم هو ما يؤشر الى حرية الصحافة، والرجال الذين تنكبوا الدفاع عن قضايا اللبنانيين بالقلم هم قلة من الصحافيين الحقيقيين لأنهم كتبوا بشجاعة وثبات عن الام شعبهم، منددين بالممارسات غير المقبولة بدءا وبانتهاك السيادة الوطنية وقمع الحريات وتدمير الاقتصاد وانتهاء بضرب صيغة العيش المشترك وتعميم سياسة الغالب والمغلوب. ليس من المبالغة القول ان لبنان كان منتفسا العالم العربي الوحيد الى اعلام حر ونزيه "ومناضل" على تواصل مع الصحافة العالمية، وهذا اللبنا لم يعد موجودا الا في الدعاية الرسمية - السلطوية التي حولت لبنان جمهورية موز حقيقية، في زمن العولمة وتعميم ثقافة الحرية والديموقراطية والسلام وحقوق الانسان، وفي حين لم يعد التلطي وراء الشعارات البراقة يجدي لتبرير أي فعل.

تقوم المنظمات العالمية المهمة بالحريات وحق التعبير عن الرأي الوضع في لبنان بصفر مدو رغم كل ادعاءات المسؤولين عن الحرية المسؤولة، ولبنان يعيش عمليا في ظل حال طوارئ غير معلنة. كتب حبيب يونس في قصيدة "سيدي الرئيس" التي غنتها ماجدة الرومي ان "هذه قلوبنا معاقل الحرية وهذه اجسادنا ذخائر القضية لأننا وارضا والحق اكثرية...".